الفصل التاسع

المدينة المقدسة الجديدة

١ ـ ٩. البذور الجيدة والأرض الخبيثة.

أطعت أوامر الملاك وانطلقت إلى حقل بكر يدعى ـ أرادات ـ وجلست هناك بين الزهور والنباتات البريّة، وكان هذا طعاماً كافياً لي.

بعد مضي سبعة أيام وأنا مواظب على الصلاة وذكر اللّه بدأت الخواطر تتوارد عليّ، وانتابني القلق والاضطراب. استلقيت على العشب وبدأت أناجي ربي وأقول:

سيدي ومولاي: لقد أظهرت ذاتك القدوس العلية لأجدادنا الذين عبروا صحراء موحشة لادروب فيها ولا علامات. كان ذلك بعد هروبهم من مصر، وقلت لهم: استمعوا إليَّ يا أبناء إسرائيل. سوف أعطيكم شريعتي وهي تشبه حبة تزرع في داخلكم تنتج لكم الثمار اليانعة وسوف تنتج لكم مجداً وعزاً يكلّلكم بالفخار إلى الأبد.

استلم آباؤنا الشريعة ولكنهم لم يطيعوا أوامرها فكانت وبالاً عليهم. دمرتهم أهلكتهم، وذلك لأنهم لم يحفظوا البذار الجيد الذي زرع فيهم.

أما الشريعة فقد بقيت بيضاء نقية، ذلك لأنها من صنعك. وعلى عكس القاعدة المعروفة التي تقول إن الوعاء يبقى سليماً بعد تلف أو إفراغ محتوياته، مثل تلف

الحبة في الأرض أو غرق السفينة في البحر فإن الشريعة التي غرست فينا بقيت سليمة ودُمرنا نحن بسبب ذنوبنا وآثامنا. وستبقى الشريعة في مجدها الزاهي.

٢ ـ ٩. المرأة الباكية.

بينما كنت أناجي ربي بمثل هذا الحديث، نظرت حولي فرأيت امرأة واقفة عن يميني وهي تنتحب وتبكي. كانت ثيابها ممزقة ورماد وسخ يغطي رأسها. بعث منظرها الأسى في نفسي ونسيت ما كان يجول في خاطري من مناجاة، والتفت إليها وسألتها: ما الخطب؟ لماذا تبكين وتولولين؟ لماذا أنت حزينة وشاردة؟ أجابت عفوك سيدي. اتركني لوحدي اجترّ همومي وأحزاني، دعني في عويلي ونشيجي. لقد قاسيت المرّ والهوانَ.

أنا امرأة ثكلى، وحيدة ومنبوذة. لقد تزوجت لمدة ثلاثين عاماً لم أرزق خلالها بطفل يبهج نفسي. وأثناء هذه الثلاثين عاماً كنت أصلي كل يومٍ وكل ساعة في الليل والنهار إلى اللّه العلي القدير كي يرزقني طفلاً. وبعد ثلاثين عاماً استجاب اللّه دعائي. لقد رأى ما أعاني وأكابد. مسح أحزاني وأعطاني ولداً ملأ حياتي فرحاً وسروراً، وكان مصدر سعادة لي ولزوجي ولجميع جيراننا. كنا دائماً نسبح اللّه ونمجده.

ترعرع الولد في أحضاني، وأنا أحوطه بكل أنواع الحماية والرعاية. وعندما أصبح شاباً يافعاً اخترت له زوجة وبدأنا نستعد للعرس. وفي ليلة الزفاف سقط ولدي في غرفة العرس ميتاً، لذلك أطفأنا جميع مشاعل الفرح، وجاء جميع الجيران

لتعزيتي. وتمالكت نفسي حتى انقضى اليوم الثاني من أيام التعزية. وعندما غادر الجميع همت على وجهي أخبط على غير هدى حتى رأيتني أنت في هذا الحقل. وقد قررت أن لا أعود أبداً إلى تلك المدينة، وعزمت على البقاء هنا في هذا المكان في حزن دائم وتفجع متواصل عازمة على أن لا آكل ولا أشرب حتى أموت.

٣ ـ ٩. مواساة المرأة الباكية.

بعد سماع قصة المرأة التفتّ إليها قائلاً بحدةٍ: أنت أكثر النساء اللاتي شاهدتهن حمقاً وأنانية. ألا ترين ما يعانيه شعبنا؟ ألا تعلمين ما كان قد جرى علينا؟. القدس أمنا جميعاً قهرت غزيت، احترقت وتجللت بالخزي والعار. كان عليك أن تندبيها وتشاركي شعبنا في أحزانه. إنك تندبين شخصاً واحداً لأنه ابنك. اسألي الأرض التي خرجنا منها، وهي تخبرك أن الشيء الوحيد الذي يستحق الندب والتفجع هو العديد من الناس الذين أتت بهم إلى الدنيا. وكلنا نحن الأحياء أتينا أصلاً منها فهي منبتنا. وهناك آخرون عديدون سيأتون منها بعدنا. وسيكون مصير العديد من هؤلاء الناس مباشرة إلى جهنم وساءت مصيراً. إنهم في ضياع وإلى ضياع. أليست الأرض أحقّ بالبكاء والندب منك على أولادها العديدين الذين خسروا أنفسهم وباؤوا بالمصير المحزن؟. أنا أعرف بماذا تفكرين. أنت تظنين أن مصابك أسوأ من مصاب الأرض. أنت تعتقدين أنه من الطبيعي أن تنجب الأرض أبناءها ثم

يكون مصيرهم الفناء. أما أنت فقد فقدت ابنك المخلوق من لحمك ودمك، الذي حملته كرهاً ووضعته كرهاً. تحملت العذاب من أجله، ولكن أقول لك إن الأرض أيضاً تعاني أثناء ولادتها للنوع الإنساني كما تعانين وتألم عليهم عند فقدهم كما تألمين، لذلك كفكفي دموعك وكوني شجاعة، واصبري على ما أصابك. وإذا كنت تقبلين قضاء اللّه وقدره في ابنك كما هو، فإنك سوف تسترجعين ابنك في اليوم الآخر، وسوف تأخذين الحمد والثناء اللذين تستحقهما الأمهات. ارجعي إلى المدينة إلى زوجك وأقربائك.

٤ ـ ٩. نتائج .الغزو البابلي.

قالت: أنا لن أعود ابداً. سأبقى هنا حتى أموت.

قلت لها: لا تصري على رأيك. انظري سوء حظ مدينة القدس. واستشعري آلامها. وعندها لن تأسفي على حالك. لقد أصبح معبدنا خراباً. لقد تهدم مذبح أضحياتنا وقرابيننا. لقد دمّر هيكل سليمان العظيم. لقد خرست المزامير وآلات الموسيقا الدينية الشجية. لقد توقف المنشدون عن ترتيل الأناشيد الدينية

لقد أطفئت الشمعة المقدسة، وانطفأ معها السرور في قلبنا.

لقد حُمل تابوت العهد والشهادة، وأصبح أسيراً في بلاد غريبة.

لقد انتهكت حرمة الوعاء المقدس.

لقد جدّف على اسم اللّه بالباطل، وكُفر به.

لقد حُقّر قادتنا وديست كرامتنا. لقد أحرق كهنتنا حتى الموت.

لقد أسر ونفي اللاويون حاملوا الشريعة المقدسة الأتقياء.

لقد انتهكت أعراضنا واغتصبت فتياتنا، وتدنست زوجاتنا.

قد أخذ شبابنا عبيداً أرقاء. سلبت حريتهم وماتت نفسيتهم.

لقد يئس جنودنا الأقوياء. وفقدوا الأمل والثقة بالنفس.

وأسوأ الجميع فإن المدينة التي كانت تقدس اللّه فقدت مجدها وعزتها وأصبحت في قبضة أعدائنا. أيتها المرأة الثكلى، ضعي أحزانك جانباً واطلبي من اللّه تعالى الرحمة وهو يمنحك الهدوء والسلام الذي يريحك من متاعبك.

وفجأة بدأ وجه المرأة يشع بنور ساطع كأنه الشمس مما أخافني وجعلني ابتعد عنها وأنا أتساءل متعجباً: ماذا حدث؟ ماذا يعني هذا؟.

٥ ـ ٩. اختفاء القدس وظهور مكة.

بعدها أطلقت المرأة صرخة مدوية عظيمة هزّت الأرض وأخافتني. وعندما أعدت النظر جهة المرأة الثكلى، وجدتها قد اختفت وظهر مكانها مدينة جميلة مبنية على أسس عظيمة.

اضطربت كثيراً.. أين أنت يا أوريل؟ لماذا أمرتني بالمجيء إلى هذا المكان؟ لقد ضعت وضاعت صلاتي. لم يعد لي أمل في شيء. وليس أمامي سوى الموت أو الجنون. كنت أتكلم مع نفسي حين ظهر الملاك أوريل أمامي. كنت ملقى على الأرض في شبه غيبوبة. أخذ أوريل بيميني وأوقفني على قدمي. وبدأ يسألني ما الخبر؟. لماذا أنت مضطرب ومشوش إلى هذا الحد؟. مم أنت خائف ترتجف؟.

قلت: لقد هجرتني لمدة طويلة، لم تبالي بي. لقد فعلت كما أمرتني، وجئت إلى هذا الحقل المنعزل، ولكني لا أستطيع شرح ما حدث لي ولا وصف ما مرّ بي.

٦ ـ ٩. تفسير الحلم.

قال الملاك: قف على رجليك يا رجل لاتفزع. أنا سوف أشرح لك كل شيء.

قلت: سيدي. من فضلك اشرح لي. فإني أكاد أموت من الإحباط والخوف والفشل لعدم قدرتي فهم شيء أو تفسير ما رأيت وما سمعت. هل خدعني عقلي؟. هل كل ما جرى مجرد حلم؟. أرجوك سيدي وضح لي معنى هذه الرؤيا.

قال الملاك: اصغِ إليَّ جيداً وأنا أشرح لك معنى الأشياء التي عاينتها وخفت منها. إن اللّه تعالى العلي القادر قد أطلعك على شيء يسير من أسراره، ذلك لأنك من عباده الصالحين، وأنك دائم الندب والحزن على شعب إسرائيل، وعلى مدينة القدس. أما معنى الرؤيا التي رأيتها فهو كما يلي:

لقد ظهرت أمامك منذ فترة قصيرة امرأة تندب وتتفجع، وعندما حاولت استطلاع خبرها للتخفيف عنها أخبرتك بموت وحيدها. وبعدها اختفت المرأة عن ناظريك، وحل مكانها مدينة كاملة.

إن المرأة تمثل مدينة القدس التي رأيتها فيما بعد كمدينة كاملة. وعندما أخبرتك المرأة أنها لم تلد مدة ثلاثين عاماً. فهذا يرمز إلى أن سليمان ابتنى الهيكل بعد بناء المدينة بثلاثة آلاف سنة[1] ، وبعد بناء الهيكل بدأت القرابين والأضاحي تقدّم على المذبح. عند ذلك أعطت المرأة زوجها ولداً. وعندما أخبرتك أنها بذلت أشدّ العناية في تنشئة الطفل فهذا يشير إلى الفترة التي ازدهرت فيها مدينة القدس. وعندما أخبرتك عن موت ولدها يوم زواجه أثناء عرسه فهذا يشير إلى خراب القدس، وهي في شبابها وعنفوانها.

وحزن المرأة وندبها يشير إلى حزن القدس بسبب بعد أولادها عنها. وعندما رأى اللّه حزنك الحقيقي على المرأة، ومواساتك الصادقة لها. فإنه أراك مجدها الكلي العظيم وسحرها الملوكي.

لقد طلبت منك أن تمكث في ذلك الحقل المنعزل ذلك أني أعلم أن اللّه يريد أن يريك هذه الأشياء، حيث لا عمران ولابناء، وكذلك فإن المدينة المقدسة الجديدة[2] التي يريد اللّه إظهارها للعالم موجودة في مكان منعزل حيث لاعمران ولا أسس بناء.

---

(١) تسرب اليهود إلى مدينة القدس العربية بعد أن بناها سكانها وسكنوها ثلاثة آلاف سنة. ثم ادعوها لأنفسهم.

(٢) تكلم القديس يوحنا في رؤياه عن قدس جديدة ووصف في هذه الرؤيا الكعبة الشريفة وحلتها البهية ـ رؤيا يوحنّا الفصلين: ٢١ و٢٢.

والآن لا تخف ولا تخش شيئاً. تقدم إلى المدينة المقدسة وانظر جمالها وبهاءها وبيوتها الملوكية. انظر ومتّع ناظريك قدر ما تستطيع فإنك ممَّن جملة القليلين من أسعدهم الحظ، ذلك لأن لك عند اللّه سمعة حسنة.

ابق هنا حتى مساء الغد وسوف يريك اللّه من الأحلام والرؤى ما يوضح لك ما سوف يخططه لمستقبل الأيام، وما سيلاقيه أولئك الذين سيعيشون على الأرض في الأيام الأخيرة قبل القيامة.

لذلك نمت تلك الليلة في ذلك المكان، وكذلك الليلة التي بعدها كما أخبرني الملاك وطلب مني.